تطوير التدريس الديداكتيكي للجغرافيا

بالتعليم الثانوي وفق المقاربة بالكفاءات

أ/ ڤحام يوسف

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

مقدمة :

الجغرافيا علم من العلوم الإنسانية التي حاولت فهم الإنسان من خلال التعرف على محيطه و ربطه به ، و منفعتها للإنسان لا تقتصر على محاولة الفَهم العميق لعناصر المحيط البيئي ، بل تعدته إلى إبراز ذلك التفاعل بين الإنسان و بيئته ، و نظرًا لموقعها الإستراتيجي عند ملتقى تخصُّصات معرفية متعددة كالبيئة و التاريخ و الرياضيات و العلم الفلك و علم الاجتماع و علم التربة و غيرها ، فإن مجالها التطبيقي الأول هو مساعدة الإنسان على الانفتاح و معرفة الآخرين حتى يتم الاندماج بشكلٍ سليم في المجتمع ، بل و الجغرافيون يصفون – وبتفصيل أكثر – الأماكن المختلفة على سطح الأرض ، ويسعون إلى تفسير الأماكن بالأحداث و الناس و الأماكن الأخرى ، فالطريقة المنهجية الجغرافية منظمة و تراكمية تحاول أن تجمع – بشكل منظم – حجمًا أكبر من المعرفة (1) .

و بما أن الجغرافيا علمًا تكامليًّا يربط بين العلوم التطبيقية و الاجتماعية ، فهي إذن أكثر من دراسة الأرض أو السكان ، بل تعدته إلى أنها أصبحت علم دراسة لخصائص المكان و علاقته و ارتباطاته ، وإنها مجال التعلم الذي يتم فيه التعرف على خصائص أماكن سطح الأرض ، ويهتم بتنظيم الظواهر وعلاقتها التي تميز منطقة عن أخرى ، وبارتباط المناطق وحركاتها والعمليات السياحية والاجتماعية والاقتصادية التي بواسطتها يشكل الإنسان هذا العالم ، فهي بالتالي من بين المناهج الأساسية في جميع المراحل التعليمية نظرًا لأهميتها في بناء الأبعاد العقلية و الاجتماعية و الشخصية للمتعلمين .

(1) ضرار احمد محمود عبابنة المعايير الحديثة المعاصرة لعلم الجغرافيا عالم الكتب الحديث اربد الأردن ط 1 2002 ص24–25

و من هنا فإذا ما اتصفت الجغرافيا بأنها علم كغيره من العلوم بما في ذلك العلوم التطبيقية ، فإنه يفترض في الجغرافي أن يستعمل الطريقة العلمية الأنجع و الأكمل و الأحسن عند تدريسها ، و نتيجة كونها من أكثر المواد الدراسية حساسية لِما يجري في المجتمع من أحداث ، وما يعتريه من مشكلات لاتصالها بالإنسان وعلاقته بالبيئة ، وما ينشأ بينهما من تفاعلات وما ينتج عنهما من مشكلات ، و لذلك فإن المختصين في مناهج هذه المادة وتدريسها يسعون دائمًا وراء كل جديد يمكن أن يَزيد من فاعليتها و يُحقق أهدافها، ومحاولة توظيفها لخدمة دارسيها و الإسفادة منها في حياتهم اليومية و العملية (1) .

و بما أن للجغرافيا كل هذا الحجم الهائل من العلاقة القائمة و المترابطة و المتكاملة مع العلوم الأخرى ، فإنه من الأجدر أن تكون المقاربة الديداكتيكية الحديثة للجغرافيا تقتضي من المتعلم أن يتسلَّح بعُدَّة معرفية جغرافية ، ومهارات تُمكِّنه من المزج بين الجانب النظري والتطبيقي ، وبين التعلُّم داخل الفصل الدراسي وخارجه ، من خلال الربط بين ما هو بشري و بيئي و تنموي ، و هذا الطرح الجديد يُخرج لا محالة تدريس الجغرافيا من المَلل الذي يَطبعها داخل الفصول الدراسية إلى التشويق و حب التلقي و التعامل و التفاعل معها ، و قد أشار أحد الدارسين إلى أن : في التعليم الناجح لا يُقاس التعلُّم بما يَعرفه المتعلم من جوانب نظرية، بل يُقاس في ضوء ما يستطيع توظيفه من هذه الجوانب النظرية في حياته ، بحيث يكون لها أثرٌ وظيفي واضح في سلوكه وفي ممارسته لحياته اليومية (2) .

– مفهوم علم الجغرافيا و تطورها :

تعدَّدت تعاريفُ الجغرافيا في الوقت الحالي ، و لو أحصيناها لوجدْنا العشرات منها ، و كي لا يختلط علينا الأمر نورد التَّعريفَ المتداول في الطبعة المختصرة مِنَ الموسوعة البِريطانيَّة ، و التي تُعرِّف الجغرافيا على أنَّها: العِلم الذي يَصِفُ ويُحلِّل التَّحولاتِ المكانيةَ للظواهرِ البشريَّة ، والطبيعية على سطحِ الأرضِ ، وتَرتبط الجغرافيا بالأرضِ وعُلومها ، كما تَرتبطُ أيضًا بالعلوم الإنسانيَّة .

و قبل أن تصل الجغرافيا إلى التعريف الجامع المانع فإنها قد بعدة مراحل ، و برزت فيها عدة تيارات علمية ، فظهرت عدة مدارس جغرافية مختلفة ، تبنَّت تعليلاً متباينًا أغنى الثقافة الجغرافية ، أهمها مدرسة الجغرافيا التطبيقية ، حيث ازدهر هذا التوجه منذ النِّصف الثاني من القرن العشرين نتيجة تراكم المعرفة و الأساليب التقنية المتقدِّمة و تعدد دراسة المشكلات التي تهم الإنسان في مختلف الجوانب الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية ، و فهم أسبابها و اقتراح الحلول المُمكنة لها .

(1) أحمد إبراهيم شلبي وآخرون (1998)؛ تدريس الدراسات الاجتماعية بين النظرية والتطبيق، القاهرة: المركز المصري للكتاب، ص 358.

(2) فارعة حسن محمد (2001)؛ دراسات وبحوث في المناهج وتكنولوجيا التعليم، ط2، القاهرة: عالم الكتب، ص 159.

كما أضحى الجغرافيون يطبقون تقنيات مختلفة (نظم المعلومات الجغرافية والاستِشعار عن بعد) في العديد من فروع الجغرافيا مثل الجغرافيا البشرية و جغرافية العمران و التخطيط الحضري ، و الجغرافيا المناخية و الجغرافيا العسكرية و الجغرافيا الحيوية و الجغرافيا الطبية . لاحظ الشكل التالي الموضح للتطور الزمني للجغرافيا .

و من هنا يَبرز لنا أن الجغرافيا قد قطعت أشواطًا مُتعدِّدة على أساس موضوعها و هدفها ثلاث مراحل أساسية انتقلَت فيها من علم تعريفي وصفي إلى علم تعليلي تركيبي تفسيري ومنه إلى علم تطبيقي– عملي – وظيفي .

– إشكالية تدريس الجغرافيا :

احتكاما لهذا التطور و التغير و التقدم و التكامل مع العلوم الأخرى الذي عرفته الجغرافيا ، فإنها تواجِه عند تلقينها في المدارس تحدياتٍ كبيرة ، بعضها يرتبط بتزايد مشكلات و قضايا المجتمع و ظهور مشكلات الطاقة و النقل و ارتفاع درجة التلوث و قلة الموارد و نضوبها ، و البعض الآخر يرتبط بالتطور العلمي و التكنولوجي الكبير في الوسائل العلمية الحديثة التي يمكن أن تمدَّنا بمعلومات تمكننا

بعد معالجتها و تحليلها التعرف على حقائق لم تكن معروفة لنا من قبل عن كوكب الأرض و طبيعته ، و في وقت وجيز .

و منه فإن المنهج المتطوّر للجغرافيا بصفة عامة و تطلعات الجغرافيا المدرسية على وجه الخصوص لا ينبغي أن يغلب عليه طابعُ التنظير و التوجيهات من الأعلى فقط ، دون توفير البيئة و الأرضية اللازمة لإنجاز المشروع التربوي الجغرافي ، من خلال التطبيق و الممارسة و النشاطات ، فإلى أي حد يستجيب منهج الجغرافيا المدرسية في الجزائر لهذه التحديات ، و هل الانتقال من " ديداكتيك كلاسيكي "للجغرافيا إلى" ديداكتيك حديث و عملي و وظيفي" سيستجيب له تطبيق فكرة المقاربة بالكفاءات ؟

و بالرجوع إلى الأصل فأزمة تدريس الجغرافيا نتاج واقع مزدوج – أزمةٌ عامة تمس مختلف المواد الدراسية ، و أخرى خاصة بالجغرافيا ، كما أن أزمة تدريس الجغرافيا ليست أزمة ظرفية بل أزمة هيكلية – بِنْيَويَّة ، بسبب المشاكل المتعدِّدة التي تعرفها المادَّة نفسها .

على ضوء ما سبق من الصُّعوبات والمُعيقات الأساسية التي تحدُّ من تطوير تجديد تدريس الجُغرافيا نذكر بعضَها :

– عوائق تشارك المواد الأخرى الجغرافيا فيها :

- ✓ الاكتظاظ داخل القسم الدراسي يتجاوز عدد المتمدرسين في بعض الأقسام الثانوية 35 تلميذا ، مما يعني أن تطبيق المقاربة بالكفاءات من أجل التدريس ضرب من الخيال .
- ✓ ظُّروف العمل الصَّعبة التي يعمل فيها الأساتذة من الشَّغَب داخل الفصول الدراسية أو قلة الأجر المقدم في سلك التعليم و المنح و العلاوات .

– عوائق تنفرد بها الجغرافيا دون غيرها :

- ✓ هُوِيَّة المادَّة: إذ يَظل الأمر الطاغي عن الجغرافيا أنها عِلم مَرِن ، ومادة الحفظ و كثرة الكتابة ، ومادة تعليميَّة ثانويَّة غير مستقلة عن مادة التاريخ ، كما أن طابعها الشُّمولي يجعلها عُرضةً للانتقاد من طرف مجموعة من المراقبين التربويِّين .
- ✓ الأزمة التي تمس منهاج الجغرافيا المقترح للمتعلمين ، فالكتاب المدرسي غير وظيفي و مملوء بالمعلومات المحشوة التي يطغى عليها طابع الموسوعية غير المرتبطة بواقع المتعلم ، فالكتاب

المدرسي فرضاً للسنة الثانية ثانوي يحتوي على تكرار في الوضعيات التعلمية المقدمة بين الوحدة التعلمية الأولى و الثالثة .

- ✓ الزمن البيداغوجي و الحيِّز الزَّمني غالبًا المخصَّص لتدريس الجغرافيا تحت ضغط البرامج المُكثَّفة – غيرُ كافٍ ، و خلوه من إمكانية إجراء تطبيقات خارج الفصل الدراسي ، مما يصعب على المدرس جذب اهتمام المتعلمين إلى المادة الدراسية .
- ✓ غياب التكوينات المستمرة لتطوير تدريس الجغرافيا و لتتماشى و التطور الرهيب الحاصل في التقنيات الجغرافية

الافتقار إلى قاعة خاصَّة لتدريس الجغرافيا تسمح لنا بمسّ أكثر الجانب التطبيقي من الجغرافيا ، كما هو الشأن بالنسبة لباقي المواد العلميَّة الفيزياء و التكنولوجيا .

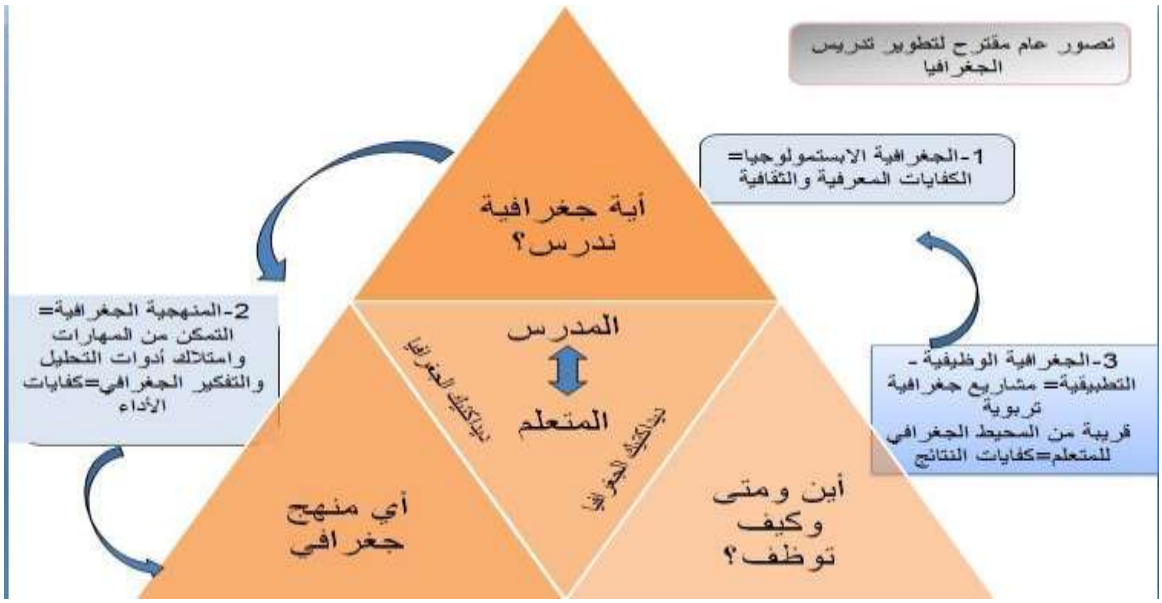

– إشكالية التلقين الديداكتيكي الجغرافي في المرحلة الثانوية :

إن تعليم الجغرافيا و تدريسَها من المقارباتِ التي تستدعي من الباحث في هذا المجال أن يتسلَّح بحزمة من التصورات و الآليات ، التي تجعل منها مادة حيوية و شيقة ، خاصة و أن الساحة المحلية و العالمية تشهدُ متغيرات ومستجدَّات لها عَلاقة وطيدة بالبعد الجغرافي ، و تطرح في غالبيتها الانتماء القومي و

البعد الاستراتيجي الوطني في الواجهة و يكون التعامل الجغرافي معها أكثر من ضروري من هنا يتطلَّب بين الفينة و الأخرى مراجعة منهاج الجغرافيا و طرق تدريسها ، "فعندما يُتقِن التلاميذ دراسة الجغرافيا ، يُدرِكُون الارتباطات و العَلاقات بينهم و بين الشعوب و الأمكنة و الثقافات و الاقتصاديات الموجودة في أنحاء العالم (1) .

على ضوء ذلك تطرح جملة من الإشكالات :

- هل تدريس الجغرافيا يعلِّم التلاميذ إمكانيةَ فهمِ و إدارة مجالهم الطبيعي ؟
- هل تدريس الجغرافيا يمكِّن التلاميذ من التفكير في المشاكل الكبرى التي يعيشها عالَم اليوم مثل العولمة – الاحتباس الحراري – مشاكل اقتصادية و سياسية ؟

(1) أحمد أوزي ، إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين، مجلة علوم التربية، العدد الخامس والأربعون، أكتوبر 2010، ص120.

- هل المعرفة الجغرافية تكمن وظيفتُها في ضبط و تحديد المجالات الجغرافية الكبرى ، أم يمتد نفوذها ليشمل مجالات معرفية مختلفة ، من خلال ما تتميز به من انفتاح ثقافي و علمي و تربوي ؟
- أية جغرافية يمكن تدريسها لمتعلِّم القرن 21، في ظلِّ الصيحات الداعية إلى تطوير المنهاج التربوي ليواكب مستجدات العصر؟ وهل الكتب المدرسية الحالية تؤدي هذه الوظيفة ، و بالتالي فهل الجغرافيا التي يتم تدريسها لتلاميذنا هي جغرافيا وظيفية ؟
- هل الطرق الديداكتيكية للجغرافيا تَعتَمِد طرقًا حديثة في التدريس (نظام المعلومات الجغرافيا، الاستشعار عن بعد) أم الطرق الكلاسيكية هي التي تُهَيمِن على العملية التعليمية – التعلمية ؟
- هل المقاربة بالكفاءات أضافت شيئا جديدا لتدريس الجغرافيا ؟

و قبل الخوض في هذا الموضوع لابد من تشريح أولا مفهوم الديداكتيك ، و هذا ما سنتعرض له فيما يلي

- مصطلح الديداكتيك :أ- المعنى اللغوي :

يقصد بالديداكتيك كل ما يخص التدريس أو التعليم ، أصله من الكلمة اليونانيةDIDAKTIKOS ، وتعني ومنها فعل DIDASKEIN ، ويَعني علَّم ودرَّس ولقَّن، ومِن هذه المادة اللغوية اشتقَّت اللاتينية لفظ DOCEO وDISCIPULUS ، ومعناهما التخصُّص DISCIPLINE ، ومِن هذه المادة أيضًا لفظDOCILE ، ويطلق على الشخص القابل للتعلُّم والقادر عليه (1) .

ب- المعنى الاصطلاحي :

يعدُّ الديداكتيك إستراتيجية تعليمية تراعي السبل المثلى التي من خلالها يسهل توصيل الفكرة أو المعرفة للمتعلم ، و هذا بطرح الإشكاليات التعلمية و العمل على إيجاد لنا حلول بتحضير الأدوات الضرورية والمساعدة على ذلك ، بمعنى أنه خطة ترمي إلى تحقيق أهداف تعليمية .

(1) عبدالحق منصف ، رهانات البيداغوجيا المعاصرة، دراسات في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، (ص: 181)، بتصرُّف يسير .

جـ - ديداكتيك الجغرافيا :

نورد فيما يلي أهم التعاريف المتفق عليها فيما يخص ديداكتيك الجغرافيا ، و للإشارة فهي متعددة تعدد تعاريف تقنية الديداكتيك نفسها .

♦تعريف" بونوا روبير :Benoît Robert "يقول: ربما ليس مِن السهل حاليًّا تحقيق إجماع حول تعريفٍ لديداكتيك الجغرافيا وليس ذلك ضروريًّا إطلاقًا ، لأنه في نظرنا ما زلنا في بداية تفكير أبستمولوجي يخص كلاًّ مِن الديداكتيكات العامة والديداكتيكات الخاصة ، مما يعني وجود مساحة لعدة وجهات نظر مهتمة بالمشاكل المرتبطة بنشر المعرفة الجغرافية، تطرح ضِمنًا أو تَصريحًا كل إشكالية ديداكتيك الجغرافية ، بالنسبة للبعض ديداكتيك الجغرافيا هو كل ديداكتيك يُمكن أن يُعرف كبيداغوجية مادة تدريس الجغرافيا ، وبالنسبة للبعض الآخَر يصبح ديداكتيك الجغرافية مرادفًا لـ Geography Teaching Methods؛ أي طرُق تدريس الجغرافية ، وما يُهمُّهم أكثرَ هو الجانبُ العملي للفعل التعليمي (1) .

♦تعريف" ديبلانك :(Desplanques P) "يقصد بها طريقة ومنهجية التحليل بالانتقال مِن المعرفة الجامعية والمُجتمعيَّة إلى المعرفة المدرسية (النقل الديداكتيكي)، وهذه الطريقة ترتبط – بنفس المنطق – بالعناصر الناتجة عن التجارب البيداغوجية والمفاهيم والطرُق والمعارف المؤسِّسة للجغرافيا (2) .

---

(1) Benoît Robert: Pour une nouvelle conception de la didactique de la géographie, Cahiers de géographie du Québec, vol. 14, n° 31, 1970, p. 95-99. بتصرف يسير .

(2) - Desplanques PM: la didactique de la géographie , Armand colin, Paris- l'information géographique 1991/ N2 ?, p 45-48.

♦تعريف" إيف أندري :(Yves Andrés)"ديداكتيك الجغرافيا جملة مِن التقنيات التي تُيسِّر تنظيم وتسهيل عملية تدريس الجغرافيا، ويَحتلُّ المُدرِّس قطب الرحى في هذه العملية؛ فهو الضامن لنجاحها، وبهذا يعدُّ رُكنًا ركينًا في سيرورة العمل الديداكتيكي، ويُضيف " أندري "أن نجاح ديداكتيك الجغرافيا رهينٌ باهتمامها بالجوانب الأساسية للمادة التعليمية، الجانب المتعلِّق بالأبحاث الجامعية النظرية أو التطبيقية ، والجانب المتعلِّق بالمُدرِّسين ، وكذا بالجانب المتعلِّق بالتلاميذ (1) .

مِن خلال التعاريف السابقة نَستشفُّ أن ديداكتيك الجغرافيا ركَّزت على النقل الديداكتيكي للمعارف الجامعية ، ونقلها إلى المعارف الجغرافية المدرسية مِن خلال سيرورة تعليمية – تعلُّمية ، يشارك فيها

الأقطاب الثلاثة و هي القطب الأبستمولوجي(المعرفة الجغرافية) و القطب الديداكتيكي (المدرِّس) و القطب السيكولوجي (المتعلِّم) .

فالديداكتيك الجغرافي هو بالتالي سيرورة سلسلة مِن العمليات الفكرية التي تهتمُّ في تطوُّرها بواقع الفصل الدراسي و المُتعلمين ، و ذلك في ضوء المعرفة الجغرافية الأكثر متانةً و صلابةً ، والعمل الديداكتيكي يتطلَّب باستمرار عدم إغفال مجالَين في التحليل ، هما التفكير في المعرفة الجغرافية من حيث التساؤل حول شرعيتها العِلمية و حول ميدان تطبيقها ، أو حول إعادة بناء المعرفة الجغرافية مِن أجل التلاميذ (النقل الديداكتيكي) ، و يهدف ذلك إلى :

- ✓ تحديد العناصر الأساسية التي تكون أساس المعرفة الجغرافية.
- ✓ تحديد المعارف والمفاهيم التي يجب تدريسها ، وذلك حسب قدرة التلاميذ على تعلمها واكتسابها.
- ✓ تحديد وتقييم العوائق الفِكرية التي يجب تخطِّيها أثناء اكتساب المعرفة الجغرافية مِن طرف التلاميذ.
- ✓ ربط العلاقات مع باقي المواد الدراسية في مستوى معيَّن .
- ✓ إخراج المعرفة الجغرافية إلى العالم المحيط بنا ، تتفاعل و تندمج معه فتصبح أكثر تشويقا .

و في هذا الاتجاه ، يَنبغي توخي الحذر بخصوص الخلط الذي يقع بين البيداغوجيا و الديداكتيك ، فالبيداغوجيا تمثِّل مجموعة مِن الممارسات والأنشطة و التقنيات المرتبطة بالعملية التعليمية – التعلُّمية داخل الفصل الدراسي ، في حين الديداكتيك تتعدَّد بتعدُّد مجالات المعرفة (2) ، و بالتالي فالديداكتيك أشمل و أعم من البيداغوجيا لأنه ينتقل من الفصل الدراسي إلى المجتمع و البيئة .

---

(1) Yves André, Didactique de la géographie in encyclopédie de la géographie sous la direction de A.Bailly et autres , édition economica.

(2) Desplanques PM مصدر سبق ذكره ،ص45-48 .

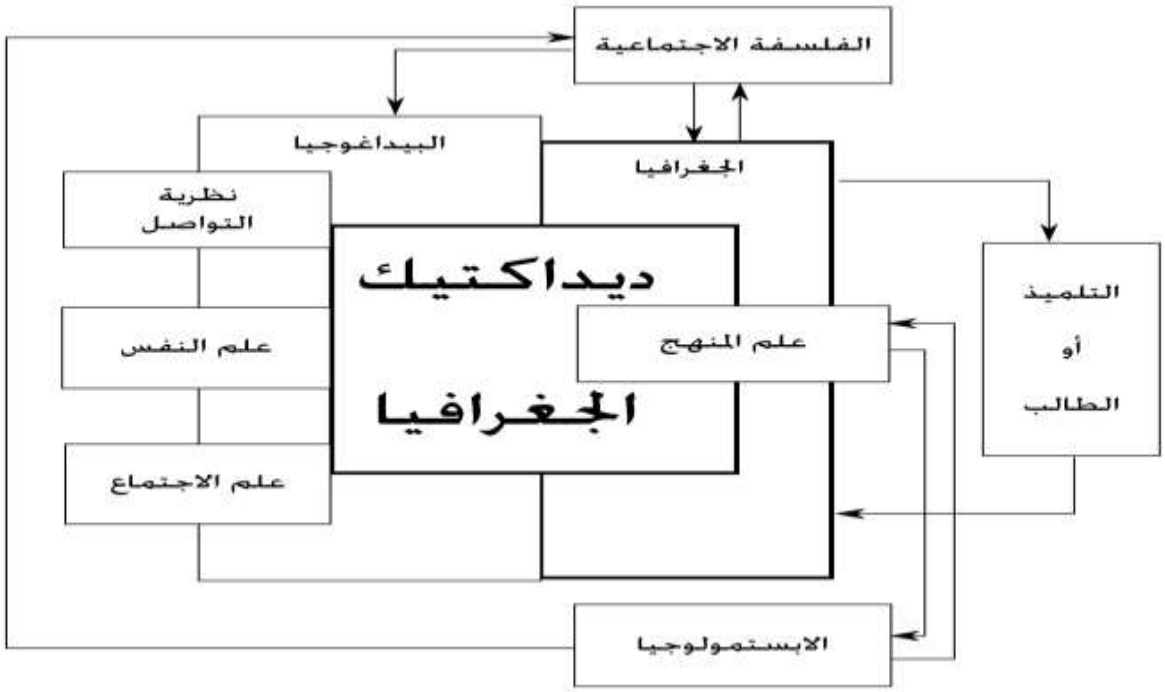

المصدر : مولاي المصطفى البرجاوي **إشكالية تدريس الجغرافيا بالتعليم الثانوي وفق مدخل الكفايات تصور مقترح لتطوير ديداكتيك الجغرافيا ، بحث منشور على النات .**

إذن فتوقع تطوير الجغرافيا يرتكز على مدى فهم العالم الخارجي ، و فهم الجغرافيا يؤدي حتما إلى التمكن من فهم العالم الخارجي ، وهذا ما ذهب إليه " وولدردج" (Wooldrige) "أن الجغرافيا الحقيقية تفهم خارج قاعة الدرس"، وهذه المقولة نابعة من الطرح الذي يؤكد" :أن معرفة البيئة المحيطة تجعل تدريس الجغرافيا مقنعًا، وأكثر حيوية (1) .

المقاربة بالكفاءات :

شَهِدت العقود الأخيرة من القرن العشرين مجموعة من المتغيرات والتحولات ، التي كان لها انعكاساتها على العملية التربوية بشكل عام و على دور المدرِّس ومكانته بشكل خاص ، ومن أبرزها تلك المتغيرات الاجتماعية والثقافية والحضارية التي ترتبط بالتقدم العلمي والتكنولوجي والمعرفي والتطور الهائل في مجال الاتصالات .

وفي ظل التطور المعرفي والنظريات التربوية – تأتي أساليب التدريس الحديثة التي تجعل المتعلم محور العملية" التعليمية – التعلُّمية"، على غرار ما تقوم عليه الأساليب التقليدية التي أصبحت في حاجة إلى مراجعة بما يتناسب مع متطلبات التحديث (2) .

(1) فاروق حمدي الفرا، 1989، تطوير كفاءات تدريس الجغرافيا باستخدام الوحدات النسقية، سلسلة الرسائل الجامعية، الطبعة الأولى ص 80 .

(2) إبراهيم قطاوي وآخرون؛ "درجة ممارسة مبادئ التعلم النشط في تدريس مادة الدراسات الاجتماعية – من وجهة نظر معلميها – في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن"؛ مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2009، ص 51 .

و قد كان إصلاح المنظومات التربوية يهدف إلى تحديد غايات التعليم حتى تكون أكثر ملاءمة لحاجات الأفراد و المجتمع المفترضة ، و إلى تحقيق أهداف التكوين و استخدام أحسن الوسائل و أنجع الطرائق ، و لئن تبنت مقاربةَ الكفاءات وزاراتُ التربية لدول العالم كإستراتيجية فذلك لكونها تسعى إلى ترقية التعليم و تفعيل التعلم و تحديثهما ، فضلا عن أخذها بالاعتبار ضرورة الجمع بين المعارف و القدرة على تحويلها و تجنيدها و إدماج التعلم من جهة

أخرى ، و المقاربة بالكفاءات هي إحدى الطرق التدريسية الجديدة التي تم إدخالها في حقل التربية و التكوين ، و هذا بعد ما تبين للتربويين أن المقاربة بالأهداف أضحت لا تساير المستجدات .

– مفهوم المقاربة بالكفاءات :

المقاربة Approche هي تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز في ضوء خطة أو إستراتيجية تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال ، و المردود المناسب من طريقة و وسائل و مكان و زمان و خصائص المتعلم .

المقاربة بالكفاءات هي أسلوب تعليمي ظهر في أوروبا حوالي سنة 1468 ، ثمّ طبقته الولايات المتحدة الأمريكية لتطوير جيوشها و انتقلت بصفة فعلية إلى المؤسسات التعليمية الأمريكية بدءا من سنة 1960 م ثم إلى بلجيكا عام 1993 ، و تعد المقاربة بالكفاءات أو الكفايات آخر البيداغوجيات التي تبنتها وزارة التربية الوطنية و على أساسها تمّ بناء المناهج الجديدة التي شرع في تطبيقها ابتداء 2004 ، من مميزاتها وأسسها ربط التعليم بالواقع و الاعتماد على مبدأ التعليم والتكوين و التقليل من محتويات المواد الدراسية ، و النظرة العملية والنفعية إلى الحياة من خلال إكساب التلاميذ معارف يوظفونها اجتماعيا .

- سمات إستراتيجية المقاربة بالكفاءات :

أ . إنّها طريقة علمية تعتمد بالدّرجة الأولى على التّخطيط لدراسة موقف أو ظاهرة أو مشكلة و التّعرّف على حجم و أبعاد كافّة الإمكانات و القدرات المتاحة تسخيرها بعد ذلك لتحقيق الأهداف المرجوّة.

ب . تتّسم بالواقعيّة سواء في العامل المنشئ لها أو الوسائل المستعملة و الموظّفة القادرة على تحقيق الأهداف.

ج . تتميّز بالحركية النّاتجة عن استهدافها ظاهرة أو مشكلة واقعيّة يستحيل تحقيق أهدافها إلاّ عن طريق عمل يعتمد أساسا على الحركة.

د . تتّسم باستفادتها المستمرّة من كافّة المعطيات العلمية ما دامت أنّها تساهم في تحقيق الأهداف المرجوّة بشكل أفضل.

هـ . تتميّز بالسّعي إلى الاستفادة من التّجارب السابقة عند مواجهتها لذات الموقف .

- إشكاليات تطبيق المقاربة بالكفاءات :

بعد مرور ما يقارب عشر سنوات من تطبيق المقاربة بالكفاءات في التدريس نتساءل :

- هل أساتذة الثانوي باختلاف تخصصاتهم مقتنعون بالمقاربة بالكفاءات ؟
- هل لديهم الاستعدادات اللازمة لتطبيقها ؟ هل يجدون في تطبيقها فائدة واضحة ؟
- هل ظروف العمل مساعدة على إنجاح هذه المقاربة ؟ و هل يقترحون بدائل تقويمية ؟

وفي الحقيقة لا زالت طرائق تدريس الجغرافيا في الثانوية على وجه الخصوص بحاجة إلى مزيد من التطوير والتعمق ، إذ لا زال أغلب الأساتذة يعتمدون الطرائق الكلاسيكية في التدريس ، وذلك راجع إلى عدة اعتبارات :

- بالنسبة للأساتذة المتخرجين من المدارس العليا في الجزائر ، يتلقون دروسًا نظرية من الأساتذة المكونين أو المفتشين التربويين ، و هذا بعد التحاقهم بميادين العمل ، و هؤلاء الأساتذة المكونين و الرئيسيين للمادة متمسّكون في أغلبهم بالطريقة التقليدية في التلقين و التدريس .

- أما الأساتذة الذين استفادوا من التوظيف المباشر عن طريق إجراء مسابقة سنوية فالحال هنا أدهى و أمر ، نتيجة عدم التركيز معهم عند إجراء التربص على التقنيات الحديثة المستعملة في التدريس و التي اعتمدتها الجزائر و هي المقاربة بالكفاءات .
- غموض هذه الطريقة المتمثلة في المقاربة بالكفاءات حتى عند ملقنيها للأساتذة بالتربصات و الندوات التربوية .

وإذا كانت التوجيهات البيداغوجية الجديدة فيما يخص تقنية المقاربة بالكفاءات قد شجَّعت على انخراط المدرسين ، إلا أن تطبيقها ما يزال متعثرًا نظرًا لكونها لم تُواكب بالإجراءات اللازمة لضمان تفعيلها .

و هذا نتيجة عدة عوائق نذكر منها :

أ- على مستوى الحيز الزمني :

كثافة البرامج الدراسية و المتابعة بالامتحانات النهائية – التي ترغم المدرس على إنهاء الدروس في فترة زمنية – كل هذا لا يفسح المجال لإجراء تمارين "تطبيقية – وظيفية" ، واعتماد طرائق التعلم المبنية على المشاركة والحوار و التعلم الذاتي .

ب- على مستوى المدرس :

مع الحالة المعيشية المزرية التي يعيشها المعلم و الاكتظاظ الذي تعرفه جل الفصول الدراسية ، وفي غياب قاعة متخصصة لتدريس مادة الاجتماعيات عامة ، والجغرافيا خاصة – كما سبق الإشارة إليه – وما تقوم به وسائل الإعلام من تشويه لصورة المدرس ، إلى جانب مشكلة نقص التكوين يعاني المدرس من مشاكل جمة تَحُول دون التطبيق الإجرائي و الديداكتيكي و تقنية المقاربة بالكفاءات التي يلقى عدة أساتذة صعوبات جمة في الالتزام بها .

جـ- على مستوى المتعلم :

كل ما سبق قلَّل من دافعية المتعلم للتعلم إذ صرح أحد التربويين الغربيِّين بقوله : " لن يُجدِي كثيرًا أن نضاعف من إنشاء المدارس ، ومن تكوين المدرسين ، و من تصور طرائق بيداغوجية جديدة ، ما لم يكن

التلاميذ يرغبون فعلاً في أن يتعلموا " . (1) ، و هذا يعتبر من أهم العوائق الذي يحول دون تطبيق أي سياسة تربوية مقترحة .

د- على مستوى الأدوات الديداكتيكية :

لا زالت في غالبيتها – إن لم نقل كلها- تعتمد الآليات التقليدية ، المتمثلة في دعامة الكتاب المدرسي ، الذي يظل الوسيلة الوحيدة في التناول الديداكتيكي لدرس الجغرافيا ، في الوقت الذي نعثر فيه على إقبال المتعلم خارج الفصل على تكنولوجيا المعلومات والإنترنت مما يجعله يهمش دروسه نظرًا لروتينيتها ، في وقت عملت مجموعة من البلدان العربية مثل الأردن، مصر، السعودية على تطوير الدرس الجغرافي ، من خلال توظيف ما يسمى بنظام المعلومات الجغرافية (SIG) ، وبرنامج map info. و غيرها من التقنيات الحديثة .

(1)René Fourcarde: motivations et pédagogie leur donner soif , les éditions E.S.F, collection science de l'Education. 1975 , P13

- الجغرافيا من مفهوم البرنامج إلى مفهوم المنهاج :

إن تطبيق بيداغوجيا الكفاءات ، يستلزم الانتقال من مفهوم البرنامج إلى مفهوم المنهاج ، إذ الأول عبارة عن مجموعة من المعلومات و المعارف التي يجب تلقينها للطفل خلال مدة معينة ، في حين أن الثاني يشمل كل العمليات التكوينية التي يسهم فيها التلميذ ، تحت إشراف ومسؤولية المدرسة خلال مدة التعليم .

إن الجغرافيا تعمل على تنشئة النواحي العقلية والاجتماعية والشخصية لدارسها ، لذلك فهي تعد من أهم العلوم الاجتماعية نظرًا لأهميتها في تنشئة وتوعية المتعلمين بخصائص سطح الأرض والأماكن وتنظيم الظواهر وعلاقاتها ، وكل ذلك يحتاج إلى مهارات وطريقة علمية في التفكير، وهذه من ضمن الأهداف التي تسعى العملية التربوية المتمثلة في المقاربة بالكفاءات إلى تحقيقها ، لأن المتعلم يستخدم قدراته العقلية من فَهم و تحليل و تفسير و ربط و استنتاج و تنبؤ و تعميم ، لذلك فإنه يتم تدريس الجغرافيا في

جميع المراحل التعليمية المختلفة لأنها تحقق المبتغى من تكوين فرد صالح و قادر على مواجهة المشكلات المعاصرة .

أ- مرحلة البرنامج : تدريس الجغرافيا عن طريق الخطاب الكلاسيكي :

حسب المختصين فإن التصور العام لدرس الجغرافيا عادة ما كان يختزل في تعرف التلاميذ على مجموعة من أسماء المدن والأنهار والجبال بالاعتماد على الخريطة التي لم تكن وظيفتها تتعدى تسمية وتوطين الظواهر الجغرافية دون التفكير فيها.

في هذه المرحلة أيضًا – نظرًا لطابع الجمود الذي يطبع تدريس الجغرافيا في هذه المرحلة – كان يُنظَر للمادة على أنها مادة للحفظ والاستظهار لجملة من المعلومات الجغرافية ، وفي نفس الوقت يراها فئة أخرى من التلاميذ أنها مادة صعبة لكثرة معلوماتها و أرقامها الإحصائية .

ب- مرحلة المنهاج و الانتقال في تدريس الجغرافيا وفق التوجهات البيداغوجية الحديثة :

من هنا جاء التفكير في محاولة جعل الجغرافية المدرسية مادة مشوِّقة ومرغوبًا فيها ، من خلال انفتاحها على العلوم الطبيعية والاجتماعية ، و مع هذا فإن الممارسة الديداكتيكية الجغرافية مع هذا التوجه الجديد ستنتقل إلى فَهم العلاقات والتفاعلات الموجودة بين مختلف عناصر الوسط الطبيعي من جهة ، وأنشطة المجموعات البشرية من جهة ثانية ، و بالتالي المزاوجة بين الجانب النظري و الجانب التطبيقي من الجغرافيا .

وهذا طبعًا يحتاج إلى مهارات للتفكير الجغرافي من خلال تحول التلميذ من عنصر سلبي – يتأثر بالمجال الجغرافي ويخضع له – إلى عنصر يسهم مستقبلاً في هيكلة وتنظيم هذا المجال ، وهذا لن يتأتَّى إلا إذا أُعطيت للجغرافيا صبغتها التطبيقية ، و قد نلمس آثاره الايجابية عن قريب إذا اعتمدنا بحق تدريسها وفق المقاربة بالكفاءات .

- ديداكتيك الجغرافيا نحو تصور جديد :

في هذا المحور الأخير لا نسعى إلى إزاحة ما جاء به المؤلفون التربويون من قضايا ديداكتيكية ومنهجية وَفْق مدخل الكفاءات ، بقدر ما نسعى إلى محاولة المساهمة معهم في شكل تصور يمكن أن يسمح

بتطوير العملية" التعليمية – التعلمية" ، الخاصة بتدريس الجغرافيا وَفْق مدخل الكفاءات ، باعتبارها مادة علمية تواكب المستجدات التي تعرفها المنظومة العالمية في مستوياتها المتعددة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية و التكنولوجية .

أ- أساسيات التصور الديداكتيكي المقترح لتطوير تدريس الجغرافيا :

النموذج الديداكتيكي للجغرافيا الذي نقترحه يرتكز بداية على أربعة أبعاد ، ينبغي استحضارها من أجل العمل ببيداغوجيا الكفاءات في درس الجغرافيا للسلك الثانوي :

✓ تحسين الوضع الاجتماعي و المهني للمعلم :

هذا سينعكس بالإيجاب على الدور البيداغوجي و الديداكتيكي المنتظر من المعلم داخل الفصل الدراسي و حتى خارجه ، و للحديث في هذا شجن .

✓ تحفيز المتعلم :

باعتبار المتعلم محور العملية التعليمية فإن تحفيزه و ترقية نوعية المادة التعليمية المعروضة عليه و ربطها بالواقع المعاش ، تعتبر من أهم المحفزات له على التحصيل العلمي .

✓ توفير الوثائق التعلمية :

تظل مادة الجغرافيا من المواد التي توظف في تدريسها وسائط ودعامات ديداكتيكية متنوعة وأساليب وتقنيات متعددة للتعليم والتعلم (خرائط بأنواعها ، صور، جداول إحصائية ، رسوم بيانية ، رحلات و خرجات تربوية) ، لهذا ينبغي على المدرس ألا يبقى حبيس دعامة واحدة الكتاب المدرسي فقط ، بل يحرص المدرس على التنويع الديداكتيكي حتى يجد المتعلم متعة في تعلم المادة ، ومنها ينقل تعلماته إلى المحيط الذي يعيش فيه و يتعايش معه .

✓ الربط البيئي :

نظرًا لارتباط الجغرافيا بالواقع المَعِيش للمتعلم مثل تشخيص ظاهرة السكان و البيئة و الكوارث البيئية و الأنشطة الاقتصادية و غيرها من الظواهر الجغرافية ، و بالتالي لابد من ربط المتعلم بقضاياه المجتمعية

خارج الفصل الدراسي ، من خلال تكليفه بإنجاز ملفات و تقارير و بحوث ، وذلك سعيًا إلى تكييف المتعلم مع محيطه وإعداده وتأهيله للواقع العملي، وهذا ما تنشده بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات .

ب- أهداف التصور المقترح لتكوين المتعلم في الجغرافيا :

بما أن تكوين الفرد الصالح المتمكن هو الغرض الأساسي من تطبيق مختلف السياسات التربوية المنتهجة ، فإن المبتغى من تدريس الجغرافيا وفق المقاربة بالكفاءات هو :

- ربط منهاج الجغرافي للتعليم الثانوي بالحياة اليومية .
- التكامل بين تعليم الجغرافيا في مراحل التعليم الثانوي ، مع العلوم المختلفة و المجتمع .
- الاهتمام بتدريس مفاهيم ومهارات الجغرافيا الأساسية بطريقة تخدم الفروع المختلفة لمادة الاجتماعيات ، وعرض المادة العلمية بطريقة تساعد على التعليم الذاتي وتنمية التفكير والبحث الجغرافي .
- تمكين المدرسين من تقنية "SIG" و"Map info" و تقنية الحاسب الآلي وتطبيقاتها العملية لتطوير ديداكتيك الجغرافيا.
- المساعدة على إنجاح طريقة التدريس بالكفاءات ، باعتبارها حسب رأينا من بين أكثر المناهج التربوية نجاعة في حالة تطبيقها .
- فصل مدرس التاريخ عن مدرس الجغرافيا ، لأن الجغرافيا هي كعلم مستقل له منهجه الخاص في التلقين و التدريس .

- دراسة عينة :

عينتنا قصدية وزعت استماراتها على أساتذة التعليم الثانوي لمادتي التاريخ و الجغرافيا ، و كانت الإجابة عليها بنسبة 100% ، و هذا باغتنام الباحث لندوة تربوية أكتوبر 2013 لأجل توزيعها على مجمل أساتذة التعليم الثانوي للجزائر شرق .

كما تمّ توزيع كذلك استمارات على تلاميذ الطور النهائي لثانوية الشيخ احمد الحسين لبلدية برج الكيفان الجزائر شرق ، و قد كانت الإجابة بها بنسبة 100% نظرا لتدريس الباحث بذات الثانوية .

- خصائص عينة أساتذة التعليم الثانوي تاريخ و جغرافيا :

وفق الجنس :

الجنس	التكرار	النسبة
ذكر	172	%42,4
انثى	234	%57,6

حزمة الأسئلة الأولى : الطبيعة السيكولوجية للمقاربة بالكفاءات :

الأسئلة	نعم	لا
هل تلقيت تكوينا في المقاربة بالكفاءات	%50	%50
هل تعتبر المقاربة بالكفاءات مجدية	%65	%35
ما هي أهم العوامل المساعدة على إنجاحها :		
- التكوين	%30	%70
- الإدارة و الوسائل البيداغوجية	%70	%30
- توفير المناخ الملائم للتدريس	%70	%30
- الكل معا	%100	-
تلعب الوسائل الديداكتيكية دورا هاما في انجاح التدريس بالكفاءات في تخصص الجغرافيا	%100	-

و الملاحظ أن نسبة 65% من مجمل الأساتذة المجيبين على أسئلة العينة يؤيدون القول بنجاعة التدريس وفق المقاربة بالكفاءات ، و الملاحظ أن النسبة المتبقية تعود إلى الأساتذة ذوي الفترة الطويلة في التدريس و الذين لم يتلقوا تكوينا في هذا الجانب ، و مازالوا لوقتنا هذا يعتمدون الطريقة التقليدية في التدريس بالأهداف .

كما أن نسبة 100% من الأساتذة الذين شملتهم العينة يتفقون على أن توفير المناخ الملائم و الأدوات البيداغوجية و الدور المستنير للإدارة في إنجاح هذه الطريقة التعليمية و التكوين فيها ، كل هذا و غيره يلعب دورا كبيرا في إنجاح التدريس وفق المقاربة بالكفاءات .

حزمة الأسئلة الثانية : تقييم التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات .

الأسئلة	نعم	لا
ما هو تقييمك للمقاربة بالكفاءات		
– المقاربة بالكفاءات أكثر فاعلية من غيرها	%80	%20
– الأستاذ هو المعول القوي لإنجاحها	%100	–
– تقليص عدد التلاميذ في القسم ضروري لإنجاحها	%100	–
– و تخفيض الحجم الساعي للأستاذ و التلميذ على حد سواء	%90	%10
– للعائلة دور بارز في إنجاحها	%60	%40

و قد رأى معظم الأساتذة أن الأستاذ المتكون في هذا الجانب و العائلة الناصحة لأولادها و تقليص عدد التلاميذ في القسم و كذلك التقليص من الحجم الساعي للتلميذ و الأستاذ على حد سواء ، من أهم العوامل المساعدة على إنجاح تجربة التدريس وفق المقاربة بالكفاءات .

ختام الدراسة :

يعتبر موضوع دراسة إشكالية تدريس الجغرافيا بالتعليم الثانوي وفق مدخل المقاربة بالكفاءات موضوعا جريئا ، كون جنّدنا له أساتذة أكاديمية الجزائر شرق و ركزّنا على موضوع تخصصنا ، كما قد استفدنا من أراء بعض الزملاء في مهنة التدريس من ثانويات أخرى و حتى أراء التلاميذ المتعلمين في الطور الثانوي و حتى أولياء التلاميذ ، و قد توصلنا من خلال هذا إلى تحديد العوامل المشتركة المتفق عليها لإنجاح بيداغوجية المقاربة بالكفاءات ، و هي :

– تخفيض الحجم الساعي للتلميذ والأستاذ .

– تقليص عدد التلاميذ في القسم، بغض النظر عن المادة المدرسة.

–أولياء التلاميذ شريك أساسي في إنجاح السياسات التعليمية، و التي يجب أن تستثمر مستواها الثقافي في مساعدة أبناءها تعليميا و ثقافيا .

–التكوين في كيفية تدريس وفق المقاربة بالكفاءات أكثر من ضروري .

المراجع المعتمدة : باللغة العربية :

- أحمد أوزي، إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين، مجلة علوم التربية، العدد الخامس والأربعون، أكتوبر 2010
- أحمد إبراهيم شلبي وآخرون (1998)؛ تدريس الدراسات الاجتماعية بين النظرية والتطبيق، القاهرة: المركز المصري للكتاب .
- إبراهيم قطاوي وآخرون؛ "درجة ممارسة مبادئ التعلم النشط في تدريس مادة الدراسات الاجتماعية – من وجهة نظر معلميها – في مدارس وكالة الغوث الدولية في الأردن"؛ مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2009 .
- ضرار احمد محمود عبابنة المعايير الحديثة المعاصرة لعلم الجغرافيا عالم الكتب الحديث اربد الأردن ط 1 2002
- عبدالحق منصف، رهانات البيداغوجيا المعاصرة، دراسات في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، بتصرُّف يسير.
- فارعة حسن محمد (2001)؛ دراسات وبحوث في المناهج وتكنولوجيا التعليم، ط2، القاهرة: عالم الكتب، .
- فاروق حمدي الفرا، 1989، تطوير كفاءات تدريس الجغرافيا باستخدام الوحدات النسقية، سلسلة الرسائل الجامعية، الطبعة الأولى
- مولاي المصطفى البرجاوي إشكالية تدريس الجغرافيا بالتعليم الثانوي وفق مدخل الكفايات تصور مقترح لتطوير ديداكتيك الجغرافيا ، بحث منشور على النات .

باللغة الأجنبية :

- Benoît Robert: Pour une nouvelle conception de la didactique de la géographie, Cahiers de géographie du Québec, vol. 14, n° 31, 1970, p. 95-99.

-Desplanques PM: la didactique de la géographie , Armand colin, Paris- l'information géographique 1991/ N2 ?, p 45-48.

-René Fourcarde: motivations et pédagogie leur donner soif , les éditions E.S.F, collection science del'Education. 1975 , P13

-Yves André, Didactique de la géographie in encyclopédie de la géographie sous la direction de A.Bailly et autres , édition economica.